

تقديم

أخى المسلم ، أختى المسلمة :

منذ زمن بعيد وأنا أفكر في الكتابة حول موضوع (سنن الفطرة) الذي يتعلق بما أشار إليه الحديث الشريف الذي ورد :

- عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : « الفطرة خمس : الاستحدا ، والختان ، وقص الشارب ، وتنف الإبط ، وتقليم الأظافر ، أخرجه أحمد ، والبخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه .

- وعن عائشة - رضى الله عنها - أن النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : « عشر من الفطرة : قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، والاستنشاق بالماء ، وقص الأظافر ، وغسل البراجم ، وتنف الإبط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء ، والمضمضة ، أخرجه أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، وحسنه الترمذى .

فهذه السنن - كما هو واضح فى الحديثين - من الأمور التى ينبغى على كل مسلم أن يكون على فقه بأهم ما يتعلق بها من أحكام فضلاً عن الآثار المتعلقة بها ، والتى منها - مثلاً - ما ورد عن ابن عباس - رضى الله عنهما - حول قول الله - تبارك وتعالى - : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ ، فلقد قال :

ابتلاه بالطهارة : خمسٌ في الرأس ، وخمسٌ في الجسد . في الرأس : قَصُّ الشَّارِبِ ، وَالْمُضْمَضَةُ ، وَالِاسْتِنْشَاقُ ، وَالسَّوَاكُ . وَفَرَقُ الرَّأْسِ ، وَفِي الْجَسَدِ : تَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ ، وَالْخِتَانُ ، وَتَنْفُ الْإِبْطِ ، وَغَسْلُ أَثَرِ الْغَائِطِ وَالبَوْلِ بالماءِ ، أخرجهُ عبد الرزاق بسند صحيح .

.. ولهذا ، فقد رأيتُ - كما أشرتُ في أول هذا التقديم - بعد أن فكرتُ ، واستخرتُ ، واستشرتُ : أن أكتب حول هذه السنن الهامة التي إن نفذناها - إن شاء الله تعالى - على أساس من العلم كُنَّا من المثابِّين على هذا .. وكنا كذلك من أهل النظافة ، ومن أهل الطهارة الذين يحبهم الله - تبارك وتعالى - كما يشير إلى هذا قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (١) ، ولا سيما إذا كان هذا التَّطَهُّرُ والتَّزَيُّنُ يتعلَّقُ بالمسجد عندما يذهب إليه المؤمن عند كل صلاة .. كما يشير إلى هذا قوله - تبارك وتعالى - : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ (٢) .

وهذا يشير كذلك إلى أنه ليس من الكبر أن يكون الإنسان متجملاً :

- فعن عبد الله بن مسعود - رضی الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً ؟

قال : « إن الله جميل يحبُّ الجمال » ، الكبرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ ، رواه مسلم .

(١) البقرة ، من الآية : ٢٢٢ .

(٢) الأعراف : ٣١ .

(بَطْرُ الْحَقِّ) : دفعه وردة على قائله ، و (غَمَطُ النَّاسِ) : احتقارهم .
 وقد قرأت في (القرطبي) حول تفسير قول الله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ (١) :

- أنه روى عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب شيخ مالك - رضى الله عنهم - : أنه كان يلبس كساءً خزاً بخمسين ديناراً ، يلبسه في الشتاء ، فإذا كان الصيف تصدق به ، أو باعه فتصدق بثمنه ، وكان يلبس في الصيف ثوبين من متاع مصر مُمَشَّقَيْنِ (٢) ويقول : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ .

- وفي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أنه رأى حلةً سِيرَاءَ (٣) تُبَاعُ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ ، فقال : يا رسول الله ، لو اشتريتها ليوم الجمعة وللوفود إذا قدموا عليك ؟ فقال رسول الله ﷺ : ، إنما يلبس هذا مَنْ لَا خَلْقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ ، : فما أنكر عليه ذَكَرَ التَّجَمُّلِ ، وإنما أنكر عليه كونها سِيرَاءَ .

- وقد اشترى تميم الدارى - رضى الله عنه - حلةً بألف درهم كان يصلى فيها .

- وكان مالك بن دينار - رضى الله عنه - يلبس الثياب العذنية الجياد .

(١) الأعراف ، الآية : ٣٢ .

(٢) ثوب ممشق وممشوق : هو المصبروغ بالمشق ، وهو صبيغ أحمر .

(٣) سِيرَاءَ : نوع من البرود فيه خطوط صفراء ، أو يخالطه حرير .

- وقد روى محمد بن سعد : أخبرنا الفضل بن دُكَيْن قال : حدثنا مُدَلَّ عن ثور عن خالد بن معدان قال : كان رسول الله ﷺ يسافر بالمشط والمرآة والدهن والسواك والكحل . وعن جريج : مشط عاج يمتشط به . قال ابن سعد : وأخبرنا قبيصة بن عقبة قال : حدثنا سفيان عن ربيع بن صبيح عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يكثر دهن رأسه ويسرح لحيته بالماء . وأخبرنا يزيد بن هارون ، حدثنا عباد بن منصور ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كانت لرسول الله ﷺ مكحلة يكتحل بها عند النوم ثلاثاً في كل عين .

فهذا كله بالإضافة إلى غيره من الآثار والأخبار : يدل على أن الإسلام دين يقدر الطهر والعفاف ، ويحب النظافة ، ويرغب فيها .. وأن الإسلام دين يعشق الجمال في كل شيء ، ويحب أن يكون معتنقه في أحسن هيئة ، وعلى أحسن حال .

ولله در من قال :

حَسَنُ ثِيَابِكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهَا زَيْنُ الرِّجَالِ بِهَا تُعَزَّرُ وَتُكْرَمُ
وَدَعِ التَّخَشُّنَ فِي الثِّيَابِ تَوَاضِعاً فَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُكْنُ وَتَكْتُمُ
فَرِثِيثُ ثَوْبِكَ لَا يَزِيدُكَ رَفْعَةً عِنْدَ الإِلهِ وَأَنْتَ عَبْدٌ مُجْرَمُ
وَجَدِيدُ ثَوْبِكَ لَا يَضُرُّكَ بَعْدَ أَنْ تَخْشَى الإِلهَ وَتَتَّقِي مَا يَحْرَمُ

.. هذا ، وإذا كنت قد أشرت إلى هذا الخير قبل الانتقال إلى موضوعنا الأساسي وهو شرح : (سنن الفطرة) : فإنني أهدف من وراء هذا التقديم أن

تكون - أذا الإسلام - طاهراً فى مظهرك ومخبرك ، وأن تكون كذلك من أهل الطهارة التى تعبدنا الله تعالى بها ، فجعلها شرطاً فى صحة كثير من العبادات ، وجعلها من الإيمان بمنزلة النصف من الكل :

- فعن أبى مالك الأنصارى أن رسول الله ﷺ قال : « الطهور شرط الإيمان ، رواه مسلم .

- وفى رواية لأحمد : « الطهارة نصف الإيمان ، والروايتان بمعنى واحد . فالطهور - بضم الطاء - أو الطهارة هو : رفع الحدث والخبث .

.. وقد قرأت فى كتاب (الفقه الواضح) كلاماً عظيماً قاله الإمام الغزالي - رحمه الله تعالى - فى كتابه (الإحياء) ، وهو أن الطهارة المشار إليها فى هذا الحديث أو فى الحديثين تنقسم إلى أربع مراتب :

- المرتبة الأولى : تطهير الظاهر من الأحداث ، والأخبث والفضلات .

- المرتبة الثانية : تطهير الجوارح من الجرائم والآثام .

- المرتبة الثالثة : تطهير القلب من الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة .

- المرتبة الرابعة : تطهير السر مما سوى الله تعالى : وهى طهارة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

والطهارة فى كل مرتبة نصف العمل الذى هى فيه .

.. فلاحظ كل هذا أذا الإسلام .. وكن حريصاً على تنفيذه على أساس من

الفقه السليم .

والله ولى التوفيق

خادم القرآن والسنة
طه عبد الله العفيفى